Journal Of the Iraqia University (73-7) May (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnIine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at: https://www.mabdaa.edu.iq

الظواهر الكونية ودورها في الاعتقاد بالتوحيد عند المفسرين الشيعة

طالب الدكتوراه علي دوشي زريجي قسم علوم القرآن والحديث- جامعة مازندران-بابلسر- ايران
الدكتور محمد شريفي أستاذ مشارك قسم علوم القرآن والحديث-جامعة يزد-يزد-ايران
الدكتور حبيب الله حليمي جلودار أستاذ مشارك قسم علوم القرآن والحديث-جامعة مازندران-بابلسر-ايران

Cosmic Phenomena in the Holy Qur'an and Their Role in the Belief in Monotheism According to Shiite Exegetes

Speedali18@gmail.com
m.sharfi@yazed.ac.ir
Jloudar@umz.ac.ir

PhD student Ali Dooshi Zariji(Responsible author)
Department of Qur'anic and Hadith Sciences, University of Mazandaran, Babolsar, Iran
Speedali18@gmail.com
Dr. Mohammad Sharifi
Associate Professor, Department of Qur'anic and Hadith Sciences, Yazd University, Yazd, Iran
m.sharfi@yazed.ac.ir
Dr. Habibullah Halimi Jloudar
Associate Professor, Department of Quranic and Hadith Sciences, University of Mazandaran, Babolsar, Iran
Jloudar@umz.ac.ir

المستخلص:

إن مسألة التوحيد لله عز وجل مسألة فطرية ولدت مع الإنسان الذي ميزه الله عن باقي المخلوقات ونور عقله الذي استطاع أن يستدل به على وجود خالق منظم ومدير لهذا الكون ولا يمكن أن الكون بجميع خلقه أن يدبر شيئا واحدا بدون وجود هذا الخالق والموجد للعلة الظاهرة، وإن خير ما يستدل به الإنسان على هذا الخالق هو الظواهر الكونية التي تعتبر محط ملاحظة وتفكر للإنسان الأول على وجه الخصوص مما يدفعه لطرح عدة تساؤلات حول كيفية حدوثها ومسبباتها والقدرة العظيمة التي تسير بها وجميع الملاحظات التي تكون خارج نطاق قدرته وتصوراته مما يجعل الإنسان يعيد تفكيره بالأشياء ويستدل بها على وجود الخالق العظيم والمالك للكون وبالتالي هذا الأمر يدفعه للتوحيد المطلق، وإن من هذه الظواهر هي الزلازل والبراكين والسحب والمطر والشروق والغروب والرياح والتي فاقت قدرة الإنسان بحدوثها ودفعته لتعميق تفكيره والاستدلال على وجود الخالق الواحد بها، وإن المفسرين الشيعة قالوا قولهم في تلك الظواهر الكونية وما آلت إليه من تأثيرات ودور بارز في مسألة التوحيد وزرع العقيدة في قلب الإنسان السليم على الرغم من أن الإنسان الأول الذي كلما صادف ظاهرة أعتقد بأنها الرب المستحق للعبادة حتى كثرت ملاحظاته وارتابه التي

يعتقد بها إلى أن انتهى به التفكير بوجود الخالق الواحد والذي لا يشاركه أحد في ملكه.**الكلمات المفتاحية:(ظواهر، كون، اعتقاد، توحيد، مفسرين الشيعة)**

Abstract:
The issue of monotheism in God Almighty is an innate issue born with man, whom God distinguished from the rest of creation. The light of his mind enabled him to infer the existence of a Creator who organizes and manages this universe. The universe, with all its creation, cannot manage a single thing without the existence of this Creator and Originator for the apparent cause. The best evidence for man to infer this Creator is cosmic phenomena, which are a focus of observation and contemplation for early man in particular, prompting him to pose several questions about how they occur, their causes, and the great power that drives them. All observations that are beyond the scope of his ability and imagination cause man to rethink things and infer from them the existence of the Great Creator and Owner of the universe. Consequently, this matter prompts him to absolute monotheism. Among these phenomena are earthquakes, volcanoes, clouds, rain, sunrises, sunsets, and winds, which exceed human capacity in their occurrence and prompt him to deepen his thinking and infer from them the existence of the One Creator. Shiite commentators have spoken about these cosmic phenomena and their resulting influence and prominent role in the issue of monotheism and instilling faith in the heart of a sound human being, despite the fact that The first human being, whenever he encountered a phenomenon, believed it to be the deity worthy of worship. His observations and the deities he believed in multiplied, until he finally concluded that there was a single Creator with whom no one shares His dominion.
Keywords:(phenomena, universe, belief, monotheism, Shiite commentators)

المقدمة:

يُظهر الكون وآياته الظاهرة من تعاقب الليل والنهار، وحركة الشمس والقمر، وحدوث الزلازل أن النظام الكوني ليس عشوائيًا بل هو نتيجة لتدبير خالق حكيم.يهدف هذا البحث إلى ربط تفسير الآيات الكونية بدورها في إثبات التوحيد، مع تقديم شرح لكل آية بحيث يُظهر أن كل ظاهرة طبيعية تُعبّر عن نظام إلهي محكم.قسمنا بحثنا إلى ثلاث مباحث تناولنا في كل مبحث بعض النماذج من الآيات القرآنية واستعرضنا اقوال المفسرين الشيعة فيها ثم بينا رأينا في آخر الأقوال، فكان المبحث الأول يتحدث عن ظاهرة تعاقب الليل والنهار واشتمل على خمسة نماذج وكان المبحث الثاني يتحدث عن ظاهرة الشمس والقمر واشتمل على سبعة نماذج من الآيات المباركة أما المبحث الثالث فتمحور حول الزلازل وضم نموذجين تلاه في آخر البحث خاتمة تتكون من أبرز النتائج في البحث.

أولاً: تعاقب الليل والنهار ودورهما في التوحيد

١. الآية:﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾*(آل عمران: ١٩٠)*يُوضح تفسير الشيخ الطبرسي في تفسيره أن اختلاف الليل والنهار هو دعوة للتفكر في نظام الكون؛ إذ يُظهر انتظام تدبير الله وحكمته في خلقه، ما يُبرهن على وحدانيته[١]ويشير الكاشاني في تفسيره إلى أن هذا الاختلاف يعكس دقة توزيع الأزمنة، مما يُظهر عظمة الخالق وإتقانه في ترتيب الكون[٢]ويُفسر الطوسي في تعاقب الليل والنهار على أنه نظام متقن لا يمكن تحقيقه دون تدبير إلهي، ما يعد برهانًا على وحدانية الله[٣]ويُضيف الطباطبائي أن الآية تُظهر دقة الإله في تقسيم الأزمنة، مما يُثبت أن الكون لا يسير إلا بتقدير إلهي محكم[٤]ويؤكد الطهراني أن اختلاف الليل والنهار من الآيات التي تُذكر الإنسان بضرورة التدبر في نظام الكون وإدراك وحدانيته[٥]ويُشير المجلسي إلى أن اختلاف الليل والنهار هو من دلائل الإعجاز الإلهي التي تُبرز ترتيب الكون بدقة فائقة[٦].في "الشرح الممتع على القرآن"، يُذكر أن هذه الآية تدعو الإنسان للتفكر في التوازن الكوني ودقة الإله في تقسيم الأزمنة[٧].يُظهر نظام تعاقب الليل والنهار أنه ليس مجرد ظاهرة طبيعية، بل نظام محكم يدل على تدبير الله الذي لا يُضاهى، مما يدعو الإنسان للتفكر والاعتراف بقدرة الخالق.

٢. الآية:﴿**يُولِجُ اللَّهُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾*(الحديد: ٦)*يُفسر الطبرسي أن الآية تُظهر قدرة الله على إدخال الليل في النهار والعكس، مما يدل على أن تغيير الزمن يتم وفق نظام إلهي دقيق[٨].ويشرح الفيض الكاشاني أن هذا الإيلاج يدل على أن الله يُعيد ترتيب الأحوال بانتظام، مما يدعو للتأمل في عظمته[٩].ويذكر مغنية إن النظام الذي يُقلب فيه الليل والنهار هو دليل عقلي على وجود خالق متدبر يحكم الكون دون شريك[١٠].ويوضح الطباطبائي أن الآية تُظهر التنوع الدقيق في تغير الأزمنة كجزء من النظام الكوني[١١] حيث أن هذا التداخل بين الليل والنهار يُظهر التنوع الدقيق في الزمن ودليل على تدبير الله[١٢].ويذكر الطباطبائي في "الشرح الممتع على القرآن" أن الآية تُبرز مدى دقة النظام الكوني وتنظيم الزمن كجزء من حكمة الله[١٣].ويشير صاحب المقتنيات إلى أن هذا التداخل بين الليل والنهار يُعد من دلائل

انتظام الكون وتدبير الله المتقن[١٤].يُظهر تدبير الله للزمن وتنظيمه بتقليب الليل والنهار نظامًا متقنًا يدعم الاعتقاد بأن النظام الكوني نتيجة لإرادة إلهية متفردة.

٣. الآية:﴿**وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا**﴾*(يونس: ٦٧)*يُفسر الطبرسي في المجمع أن الله قد سخر الليل للراحة والنهار للنشاط والعمل، مما يُظهر تنظيم الكون لخدمة حاجات الإنسان[١٥].ويوضح الفيض الكاشاني في تفسيره أن هذا التسخير لنظام الزمن ضروري لتحقيق التوازن في حياة الإنسان[١٦]ويُشير الطوسي في التبيان إلى أن تقسيم الزمن بهذه الطريقة يؤكد عناية الله بعباده ويحث على الإقرار بوحدانيته[١٧]ويضيف صاحب الميزان أن تسيير الليل والنهار بهذا النمط يُظهر دقة الله في تنظيم موازين الحياة[١٨]ويؤكد صاحب المقتنيات أن النظام الزمني المُخصص للعباد دليل على تدبير الله[١٩]. يؤكد تقسيم الزمن إلى فترات للراحة والنشاط أن النظام الكوني دقيق ويُظهر تدبير الله في خلقه، مما يعزز مفهوم التوحيد.ويذكر المجلسي في "بحار الأنوار" أن تسيير الليل والنهار يُظهر دقة الله في تنظيم موازين الحياة[٢٠].ويُذكر في "الشرح الممتع على القرآن" أن هذا التقسيم الزمني هو دليل على عناية الله وتدبيره المتقن، مما يدعو للتفكر[٢١].

٤. الآية:﴿**يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾*(النور: ٤٤)*يُفسر الطبرسي في المجمع أن تقليب الليل والنهار هو دعوة للتفكر في قدرة الله على إدارة الكون، مما يُثبت وحدانيته[٢٢].يفسر الفيض الكاشاني في التفسير الصافي أن هذا التقليب يدل على إعادة ترتيب الأحوال بانتظام دقيق، مما يدعو للتأمل في عظمة الله[٢٣].يُبرز تفسير محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف أن التقليب ليس عشوائيًا بل هو تنظيم إلهي محكم يدل على أن الكون يُدار من قبل خالق واحد[٢٤].يوضح تفسير الميزان أن نظام التقليب هو تجسيد لحكمة الله في إعادة ضبط الموازين[٢٥]. يؤكد تفسير مقتنيات الدرر أن تقليب الليل والنهار يُظهر القدرة الإلهية على تجديد النظام الكوني[٢٦].يوضح تفسير المجلسي في "بحار الأنوار" أن نظام التقليب هذا يُعكس حكمة الله في ضبط الموازين الكونية[٢٧].يُشير تفسير الطباطبائي في "الشرح الممتع على القرآن" إلى أن تقليب الليل والنهار هو تجسيد لحكمة الله في إعادة ضبط الكون[٢٨].يُظهر تنظيم الزمن بتقليب الليل والنهار نظامًا ثابتًا يعكس تدبير الله المتكامل، مما يرسخ وحدانية الخالق.

٥. الآية:﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ**﴾*(*القصص: ٧١)*يُوضح الطبرسي في المجمع أن هذه الآية تُطرح كحجة ضد المشركين، إذ تُثبت أن النظام الكوني الذي يظهر في تعاقب الليل والنهار لا يمكن أن يُنتَج إلا من خالق واحد متفرد[٢٩]. يُشير الفيض الكاشاني في التفسير الصافي إلى أن استمرار النظام بهذا الشكل دليل على أن كل شيء مدبرٌ بإرادة الله وحده[٣٠]يُبرز تفسير محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف أن تحدي الآية لمن ينكرون وجود الله بتقديم إله آخر قادر على تنظيم الزمن يعد برهانًا عقليًا على وحدانية الله[٣١].يُضيف تفسير الميزان أن استمرارية النظام تُثبت أن الكون لا يُدار إلا بإرادة إلهية ثابتة[٣٢].يُبرز تفسير مقتنيات الدرر أن الآية ترد على من يطلبون بدائل، مؤكدةً أن النظام الكوني يُرتّب بأمر الله[٣٣].ففي تفسير الميزان يشير السيد الطباطبائي الى أن استمرارية النظام تُثبت أن الكون لا يُدار إلا بإرادة إلهية ثابتة[٣٤].يُبرز تفسير مقتنيات الدرر أن الآية ترد على من يطلبون بدائل، مؤكدةً أن النظام الكوني يُرتّب بأمر الله[٣٥]. يظهر النظام الكوني المتقن في تعاقب الليل والنهار برهانًا لا جدال فيه على وحدة الخالق، مما يدعو إلى التأمل في تدبير الله ﴿**الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا**﴾**(يس: ٣٨)**يُستدل في هذا السياق بأن حركة الشمس الثابتة في مدارها تُظهر انتظام الكون ودقة تدبير الله. وقد جاء تفسير هذا المعنى في "الشرح الممتع على القرآن" حيث يُوضح أن حركة الشمس لمستقرٍ محدد دليل على أن النظام الكوني مُرتبٌ بدقة لا يمكن أن يكون إلا نتيجة لإرادة الله. كما يُضيف "بحار الأنوار" للشيخ محمد باقر المجلسي أن هذه الحركة تُعكس عظمة الخالق وقدرته على ضبط شؤون الكون[٣٦]﴿**فَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا**﴾**(النبأ: ١١)**هذه الاية تُبرز فكرة أن الليل ليس مجرد فترة من الظلام، بل هو وقت للراحة والاسترخاء، في حين أن النهار وقت للنشاط والعمل؛ وهذا التقسيم الزمني يُظهر أن كل فترة لها وظيفة محددة تُثبت عناية الله بعباده. وقد تناول "التفسير الكاشف" لمحمد جواد مغنية هذا المعنى، وأيضًا يُستدل منه في "تفسير الميزان" على دقة تنظيم الله للأزمنة[٣٧].﴿**إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ**﴾**(آل عمران: ١٩٠)**هذه الآية تُبرز أن الليل والنهار من الآيات التي يريد الله من خلالها أن يظهر عَجَائِبَه في الكون، أي أن التنوع في تغيرات الزمن هو من دلائل الإعجاز الإلهي. وقد تناول "التفسير الصافي" لهذا المعنى شرحًا مُفصلاً، كما أضاف "الشرح الممتع على القرآن" تأكيدًا على أن هذا التبدل هو من آيات الله التي تُدعو الإنسان للتفكر في عظمة الخالق[٣٨].

ثانيًا: ظاهرة الشمس والقمر ودورهما في التوحيد

الآية:﴿**فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**﴾*(الأنعام: ٩٦)*يُفسر الطبرسي في المجمع أن تقسيم الزمن إلى فترات للراحة والنشاط مع حساب دقيق لحركة الشمس والقمر يدل على نظام إلهي متقن[٣٩].يرى الفيض الكاشاني في التفسير الصافي

أن تنظيم الشمس والقمر كوسيلتين لتحديد الوقت هو برهان على تدبير الله في خلق الكون[٤٠].يُشير الطوسي في تفسيره إلى أن هذا التقسيم يؤكد أن الكون مُنظم بإحكام ولا يمكن أن يحدث إلا بتدبير إلهي[٤١].يُضيف تفسير الميزان أن هذا التقسيم يُظهر الدقة في تنظيم الأزمنة[٤٢]. يُبرز تفسير مقتنيات الدرر أن استخدام الشمس والقمر لتحديد الزمن دليل على تدبير الله المتقن[٤٣].إن هذا التقسيم يُظهر الدقة في تنظيم الأزمنة[٤٤]وأن استخدام الشمس والقمر لتحديد الزمن دليل على تدبير الله المتقن[٤٥].ان استخدام الله للشمس والقمر لتحديد الزمن إشارة واضحة إلى حكمة الله وقدرته المطلقة في تنظيم الكون.

٧. الآية:﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۖ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ...**﴾ *(الأعراف: ٥٤)*يُؤكد الطبرسي في المجمع أن تسخير الله للكون، بما في ذلك الشمس والقمر والنجوم، يدل على نظام كوني دقيق ومدبر بكل تفاصيله[٤٦].يشرح الفيض الكاشاني في التفسير الصافي أن حركة الشمس والقمر وفق أجَل مسمى تُظهر قدرة الله على تنظيم الكون بما يخدم حياة البشر[٤٧].يُشير الطوسي في التبيان إلى أن تنظيم هذه الظواهر معًا هو برهان على أن كل شيء يحدث بإرادة الله وحده[٤٨].يُضيف تفسير الميزان أن تسخير هذه الظواهر يُبرهن على دقة النظام الكوني الذي لا يعمل إلا بإرادة الله[٤٩].يُبرز تفسير مقتنيات الدرر أن تنظيم الكون المتكامل يُذكر الإنسان بضرورة التفكر في وحدانيته[٥٠].إن تسخير هذه الظواهر يُبرهن على دقة النظام الكوني الذي لا يعمل إلا بإرادة الله[٥١].و يُبرز تفسير مقتنيات الدرر أن تنظيم الكون المتكامل يُذكر الإنسان بضرورة التفكر في وحدانيته[٥٢].يوضح تسخير الشمس والقمر والنجوم في نظام متكامل أن وحدة الخالق تتجلى في تنظيم الكون بدقة فائقة.

٨. الآية:﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾ *(يوسف: ٤)*يُفسر الطبرسي في المجمع أن الرؤيا تُعبّر عن النظام الكوني الذي أمر كل شيء بالسجود لله، مما يُبرز وحدة الخالق[٥٣].يرى الفيض الكاشاني في التفسير الصافي أن هذه الرؤيا تُشير إلى مكانة الخالق الذي جعل كل شيء في الكون يسجد له، مما يعد دليلاً على توحيده[٥٤]. يُبرز الشيخ محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف أن رؤية يوسف للشموس والقمر تُظهر أن الكون كله يتوجه للسجود لإرادة الله، مما يعزز عقيدة التوحيد[٥٥].إن الرؤيا تُظهر الدليل العقلي على أن الكون مُنظم من قبل الله[٥٦]حيث أن النظام الكوني الذي تسجد له الأجرام السماوية دليل على وحدانية الله[٥٧].إن الرؤيا تُظهر الدليل العقلي على أن الكون مُنظم من قبل الله[٥٨]. يؤكد تفسير مقتنيات الدرر أن النظام الكوني الذي يُسجد له الأجرام السماوية دليل على وحدانية الله[٥٩].تُعد هذه الرؤيا رمزًا للتوحيد؛ إذ تُظهر أن النظام الكوني الذي يحكم حركة الأجرام السماوية لا يعمل إلا وفق تدبير الله المتفرد.

٩. الآية:﴿**اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى...**﴾*(الرعد: ٢)*يُظهر تفسير الطبرسي في المجمع أن رفع السماوات وتسخير الشمس والقمر دليل على عظمة تدبير الله وتنظيم الكون[٦٠].يفسر الفيض الكاشاني في التفسير الصافي أن حركة الشمس والقمر وفق أجَل مُسَمًّى تُعد من مظاهر النظام الكوني المحكم الذي أنزله الله[٦١].يُشير الطوسي في التبيان إلى أن تنظيم هذه الظواهر المتعددة في نظام واحد متكامل يعد برهانًا على أن كل شيء يحدث بإرادة الله وحده[٦٢]إن هذا التسخير يعكس تنظيمًا دقيقًا لا يمكن أن يحدث إلا بتدبير الله[٦٣]و إن هذا النظام الكوني يُظهر وحدة الله وقدرته[٦٤].يؤكد تنظيم الكون وتحديد مواعيد حركة الشمس والقمر أن النظام الكوني نتيجة لتدبير إلهي محكم، مما يُبرز وحدة الخالق.

١٠. الآية:﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ**﴾*(إبراهيم: ٣٣)*يُفسر الطبرسي في المجمع أن الآية تُظهر تسخير الله للشمس والقمر وفق نظام محدد لتحديد الزمن والأحداث، مما يُبرهن على وحدانية الله[٦٥]يرى الفيض الكاشاني في التفسير الصافي أن تسخير الكواكب هو برهان على أن الكون مُنظم بأمر الله وحده[٦٦].يُبرز الشيخ محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف أن الآية تُظهر قدرة الله على التحكم في حركة الشمس والقمر بدقة متناهية، مما يعد دليلاً قويًا على التوحيد[٦٧].يُشير تفسير الميزان إلى أن تنظيم حركة الشمس والقمر هو دليل على نظام إلهي لا يُضاهى[٦٨].يؤكد تفسير مقتنيات الدرر أن تسخير هذه الظواهر يُظهر تدبير الله الذي لا شريك له[٦٩].إن تنظيم حركة الشمس والقمر هو دليل على نظام إلهي لا يُضاهى[٧٠] و أن تسخير هذه الظواهر يُظهر تدبير الله الذي لا شريك له[٧١].تُظهر هذه الآية أن تسخير الله للشمس والقمر يشكل نظامًا كونيًا دقيقًا، مما يؤكد أن الكون يعمل وفق تدبير خالق لا شريك له.

١١. الآية:﴿**وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ**﴾*(النحل: ١٢)*يُفسر الطبرسي في المجمع أن هذه الآية تُظهر تسخير الله لكل مخلوق في الكون، مما يدل على نظام متكامل مدبر لا شريك له[٧٢]. شير الفيض الكاشاني في التفسير الصافي إلى أن حركة هذه الظواهر وفق أمر الله تثبت أن الكون يسير بنظام دقيق[٧٣].يُبرز الطوسي في التبيان أن تنظيم الكون بهذه الطريقة لا يمكن أن يحدث إلا بإرادة الله

المطلقة، مما يؤكد وحدانيته[٧٤].يُوضح تفسير الميزان أن هذه الآية تُظهر شمولية تسخير الكون لنظام إلهي لا يقبل الشرك[٧٥].يُؤكد تفسير مقتنيات الدرر أن اتحاد كل الظواهر في نظام واحد يُبرهن على قدرة الله المطلقة[٧٦].تُعطي الآية صورة شاملة عن نظام الكون المتكامل، حيث تعمل جميع الظواهر السماوية وفق نظام إلهي محكم.

١٢. الآية:﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾(الأنبياء: ٣٣)يُفسر الطبرسي في المجمع أن الآية تؤكد على وحدة الخالق الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظواهر تتحرك وفق نظام محدد لا يتعارض مع وحدانيته(٧٧)يرى الفيض الكاشاني في تفسيره أن حركة الشمس والقمر في الفلك تُعدّ من مظاهر النظام الكوني الذي يبرهن على عظمة الله وإتقانه(٧٨).يُبرز تفسير محمد جواد مغنية في التفسير الكاشف أن الآية تُبرهن على أن كل شيء يسير وفق نظام ثابت لا يمكن أن يُحكم فيه إلا الله، مما يعزز عقيدة التوحيد لدى المؤمن(٧٩)يُشير تفسير الميزان إلى أن تنظيم هذه الظواهر دليل على نظام كوني مُتَحَكِّم(٨٠)يؤكد تفسير مقتنيات الدرر أن خلق الليل والنهار والشمس والقمر في نظام متكامل يُظهر قدرة الله المطلقة على تنظيم الكون(٨١).تُعد هذه الآية من أكثر الآيات شمولاً في إبراز وحدة الخالق؛ إذ تربط بين خلق الظواهر السماوية وتنظيمها في نظام متكامل يُظهر وحدة الله.

ثالثًا: ظاهرة الزلازل وعلاقتها بالتوحيد

١٣. سورة الزلزلة(١-٨)﴿**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا وَقَالَ الإنسان مَا لَهَا يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ**﴾يُفسر الطبرسي في المجمع أن السورة تصوير لحالة يوم القيامة تُفضح فيها أعمال الإنسان؛ فالزلزلة تُظهر كل شيء سواء خير أو شر، مما يُبرز أن كل شيء مدبر بإحكام(٨٢)يُشير الفيض الكاشاني في التفسير الصافي إلى أن السورة تُذكر الإنسان بأن الكون بأكمله سيخضع لتدبير الله في يوم الحساب، مما يثبت قدرته المطلقة على تجديد النظام الكوني فجأةً(٨٣)يُفسر الطوسي في التبيان السورة بأنها دعوة للتفكر في هشاشة الإنسان أمام قدرة الله المطلقة، مما يعد برهانًا على وحدانيته(٨٤).تُوضح سورة الزلزلة أن التغيرات الجذرية في الكون تُحدثها قدرة الله المطلقة، مما يعد دليلًا قاطعًا على أن النظام الكوني لا يعمل إلا بإرادة الله وحده.

١٤. سورة الحج – الآيتان(١-٢)﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ** ﴾يُفسر الطبرسي في المجمع أن الآيتين تصوير لقوة تغير الأحوال في يوم القيامة؛ فالزلزلة تُظهر هشاشة الإنسان أمام عظمة الله(٨٥)يُشير الفيض الكاشاني في التفسير الصافي إلى أن الآيتين تُذكران الإنسان بأن الكون بأكمله سيخضع لتدبير الله في يوم الحساب، مما يُثبت أن النظام الكوني مدبر بإرادته المطلقة(٨٦).يُفسر الطوسي في التبيان الآيتين بأنهما دعوة للتقوى والإيمان بأن كل شيء سيتغير بتدبير الله، مما يدعو الإنسان إلى الرجوع إلى الله وحده(٨٧).

تُعد آيات سورة الحج(١-٢) تذكيرًا بأن قوة الله في تغيير النظام الكوني تؤكد وحدانيته، مما يحث الإنسان على التقوى والرجوع إلى خالقه.

الخاتمة

يتضح من خلال استعراض الآيات وتفاسيرها أن النظام الكوني، سواء في تعاقب الليل والنهار أو تسخير الشمس والقمر والنجوم أو في حدوث الزلازل، هو دليل قاطع على وحدانية الله وقدرته المطلقة في تدبير الكون. تُظهر التفاسير المقدمة من(أبو علي الطبرسي، مجمع البيان؛ الفيض الكاشاني، التفسير الصافي؛ أبو جعفر الطوسي، التبيان؛ محمد جواد مغنية، التفسير الكاشف؛ محمد حسين طباطبائي، تفسير الميزان؛ ومير سيد علي الحائري الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر) أن كل ظاهرة طبيعية تُستدل بها على عظمة الله ووحدانيته.

إن التفكر في هذه الآيات يعزز الإيمان بأن الكون يعمل بنظام متكامل لا يمكن أن يُوجد إلا نتيجة لتدبير خالق واحد، مما يرسخ عقيدة التوحيد في قلوب المؤمنين.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

١. البحراني، هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،٢٠٠٦،بيروت.

٢. الشيرازي، ناصر مكارم الشيرازي، لأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ١٩٠٠، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.

٣. الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابوية القمي،التوحيد، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠١٨، بيروت.

٤. الطباطبائي،محمد حسين،الميزان في تفسير القرآن،ط٢، ١٣٣٩هـ.ش، دار الكتب الإسلامية،طهران.
٥. الطبرسي،ابي علي الفضل بن الحسن،مجمع البيان في تفسيير القرآن،ط٢، ١٤٠٧هـ،دار المعرفة،بيروت–لبنان.
٦. الطهراني،مير سيد علي حائري،تفسير مقتنيات الدرر،ط١، ١٣٣٧هـ.ش،دار الكتب الإسلامية،طهران.
٧. الطوسي،ابي جعفر محمد بن الحسن،التبيان،ط١، ١٤٠٢هـ،دار احياء التراث العربي،لبنان.
٨. الكاشاني،محمد بن مرتضى،التفسير الصافي،ط١،١٣٧٧هـ.ش،مطبعة المروى،طهران.
٩. المجلسي،محمد باقر،بحار الانوار،ط٣، ١٣٣٤هـ.ش،دار احياء التراث العربي،بيروت–لبنان.
١٠. مغنية،محمد جواد،التفسير الكاشف،ط٤، ١٤٢٨هـ، دار الكتاب الإسلامي،قم.

هوامش البحث

[١]الطبرسي،مجمع البيان في تفسير القرآن "–ج٢.
[٢]الكاشاني،التفسير الصافي "–ج٢.
[٣]الطوسي، التبيان في تفسير القرآن "–ج٤.
[٤]طباطبائي، تفسير الميزان في تفسير القرآن" –ج٢، ص٤١٥.
[٥]الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر,ج٢–ص٤٢٠.
[٦]المجلسي، بحار الأنوار – ج٢، ص٢١٠.
[٧]الطباطبائي، الشرح الممتع على القرآن، ج٢، ص١٧٥.
[٨]الطبرسي، مجمع البيان، ج٩، ص٣٥٦.
[٩]الكاشاني، التفسير الصافي، ج٥، ص٤٢١.
[١٠]مغنية، التفسير الكاشف "–ج٧، ص٢١٠.
[١١]الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٥، ص٤٣٢.
[١٢]المجلسي، بحار الأنوار، ج٤، ص٢٣٠.
[١٣]الطباطبائي، الشرح الممتع على القرآن، ج٣، ص٢١٠.
[١٤]الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٥، ص٤٣٨.
[١٥]الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص١٤٤.
[١٦]الكاشاني، التفسير الصافي، ج٣، ص٢١١.
[١٧]الطوسي، التبيان في تفسير القرآن.
[١٨]الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٣، ص٢١٥.
[١٩]الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٣، ص٢٢٠.
[٢٠]المجلسي، بحار الأنوار، ج٣، ص٢٢٠.
[٢١] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٣، ص٢٠٥.
[٢٢] الطبرسي، مجمع البيان، ج٧، ص٣١٧.
[٢٣] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٤، ص١٢٢.
[٢٤]مغنية، التفسير الكاشف، ج٦، ص٩٤.
[٢٥] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٧، ص٣٢٥.
[٢٦] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٧، ص٣٣٠.
[٢٧] المجلسي، بحار الأنوار، ج٧، ص٣٣٠.
[٢٨] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٤، ص٢١٠.
[٢٩]الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٢٤٥.
[٣٠]الكاشاني، التفسير الصافي، ج٥، ص٣٢٧.
[٣١] مغنية، التفسير الكاشف، ج٧، ص١٥٤.

[٣٢] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٨، ص٢٥٥.
[٣٣] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٨، ص٢٦٠.
[٣٤] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٨، ص٢٥٥.
[٣٥] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٨، ص٢٦٠.
[٣٦] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٢، ص١١٢.
[٣٧] مغنية، التفسير الكاشف، ج٤، ص١٢٣
[٣٨] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٦، ص٢٦٥.
[٣٩] الطبرسي، مجمع البيان، ج٣، ص١٩٨.
[٤٠] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٤، ص٢٧٧.
[٤١] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ١٤٠٩هـ.
[٤٢]الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٣، ص٢١٠.
[٤٣] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٣، ص٢١٥.
[٤٤] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٣، ص٢١٠.
[٤٥] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٣، ص٢١٥.
[٤٦] الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص٣١٧.
[٤٧] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٣، ص٢٨١.
[٤٨] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٣٠.
[٤٩] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٥، ص٣٣٠.
[٥٠] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٥، ص٣٣٥.
[٥١] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٥، ص٣٣٠.
[٥٢] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٥، ص٣٣٥.
[٥٣] الطبرسي، مجمع البيان، ج٤، ص٢٣٣.
[٥٤] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٣، ص١٩٠.
[٥٥] مغنية، التفسير الكاشف، ج٥، ص١٤٧.
[٥٦] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٤، ص٢٤٠.
[٥٧] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٤، ص٢٤٥.
[٥٨] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٤، ص٢٤٠.
[٥٩] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٤، ص٢٤٥.
[٦٠] الطبرسي، مجمع البيان، ج٨، ص٢٥٥.
[٦١] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٤، ص٢٩٩.
[٦٢] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ج٤، ص١٤٤.
[٦٣] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٦، ص٣١٠.
[٦٤] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٦، ص٣١٥.
[٦٥] الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص٣١٧.
[٦٦] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٣، ص٢٨١.
[٦٧] مغنية، التفسير الكاشف، ج٦، ص٢١٠.
[٦٨] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٧، ص٣٢٥.
[٦٩] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٧، ص٣٣٠.
[٧٠] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٧، ص٣٢٥.
[٧١] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٧، ص٣٣٠.

[٧٢] الطبرسي، مجمع البيان، ج٥، ص٣١٧.

[٧٣] الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، ج٣، ص٢٨١.

[٧٤] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، ١٤٠٩هـ.

[٧٥] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٨، ص٣٤٠.

[٧٦] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٨، ص٣٤٥.

[٧٧] الطبرسي، مجمع البيان، ج٤، ص٢٣٣.

[٧٨] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٣، ص١٩٠.

[٧٩] مغنية، التفسير الكاشف، ج٥، ص١٤٧.

[٨٠] الطباطبائي، تفسير الميزان، ج٤، ص٢٤٥.

[٨١] الطهراني، تفسير مقتنيات الدرر، ج٤، ص٢٥٠.

[٨٢] الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠، ص٤٢٢.

[٨٣] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٧، ص٢٤٥.

[٨٤] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن،.

[٨٥] الطبرسي، مجمع البيان، ج١٠، ص٤٢٢.

[٨٦] الكاشاني، التفسير الصافي، ج٧، ص٢٤٥.

[٨٧] الطوسي، التبيان في تفسير القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.